الدكتور إبراهيم عوض وكتاباته عن مناهج النقد في الأدب العربي الحديث

مايو 20, 2021
61


د. إبراهيم عوض

كتب د. صلاح عدس:

الدكتور إبراهيم عوض أديب كبير، وناقد قدير، صدر له حوالي خمسين كتابًا أو أكثر، أثرى بها حياتنا الأدبية والمكتبة العربية، وهو في هذا الكتاب يستعرض المناهج النقدية في أدبنا الحديث بالتحليل والنقد الموضوعي، بداية من المنهج التقليدي عند الشيخ حسين المرصفي في كتابه "الوسيلة الأدبية" ثم المنهج التجديدي ثم المنهج النفسي، ثم المنهج الاجتماعي، ثم المنهج التأثري أي الانطباعي، وأخيرًا المنهج البنيوي والتناصية.

أما المنهج النفسي، فيعتبر العمل الأدبي تعبيرًا عن نفسية صاحبه ويستعمل في تفسيراته نظريات علم النفس وخاصة التحليل النفسي عند فرويد وأدلر ويونج.

أما فرويد فقد قال بأن الدافع الأساسي لسلوك الإنسان هو الجنس، بينما قال "أدلر" بأن الدافع هو النزوع نحو القوة، وحدثنا يونج عن اللاشعور الجماعي الذي يسخر منه كاتبنا الدكتور إبراهيم عوض -وهو المعروف بروح الدعابة والكوميديا اللطيفة- قائلاً: أين هو هذا اللاشعور الجمعي، وكيف نجده ونمسك به؟

ويحدثنا أيضًا عن جماعة الديوان؛ العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري، الذين طبقوا هذا المنهج في شعرهم برومانسيتهم وفي نقدهم شوقي

وحافظ لأنه لا تظهر نفسياتهما وذواتهما في شعرهما، ومثلما كتب العقاد كتابه عن "أبي نواس" مفسرًا شذوذه الجنسي بتحليلات فرويد من أن الجنسية المثلية هي نتيجة لعشق الذات "النرجسية" مما يجعل الشخص المصاب بها يحب من هو مثله.

أما المنهج الاجتماعي فيرى في العمل الأدبي مرآة لمجتمعه وانعكاسًا لظروفه وطبقته وبيئته.

وأخيرًا يحدثنا عن ثالثة الأثافي أو الداهية الكبرى والآفة التي أصابت حياتنا الأدبية بالطاعون الذي نشره جابر عصفور وصلاح فضل وغيرهما من المروجين للتبعية للغرب حتى لو كان ذلك ترهات تخطاها الغرب نفسه، وأصبحت من مخلفات القرن الماضي وأصبحوا يتحدثون لا عن "الحداثة"، بل عن ما بعد الحداثة. وإن البنيوية التي يُروج لها المرجفون في المدينة هي نوع من الدجل والتعمية والهلوسات النقدية والهذيان الذي لا يمت للأدب ولا للعقل بأي صلة.

فالأخوة العرب وأسيادهم في الغرب لا يفهمون ما يقولونه وإنما يتهموننا نحن بعدم الفهم لنقص فينا والعيب فيهم.

قرأت المراجع التي نقلوا عنها فلم أفهم شيئًا فأيقنت أنهم جميعًا حفنة من المضللين ولا مكان لكتبهم سوى سلة المهملات.

وهذا بالضبط هو ما حدث مع الدكتور إبراهيم عوض وما وصل إليه ممن صدعوا أدمغتنا وأصابونا بالغثيان من مصطلحاتهم الفارغة من المعنى مثل كلمات: الخطاب والرسالة والشفرة والترميز والدال والمدلول والوظيفة، ولهم مائة اسم متعلق بالوظيفة، وكلها أسماء وأصنام وهمية وهذيان لا يدخل العقل.

وتغطية لهذا الفراغ الفكري راحوا يملأون كتاباتهم النقدية بالجداول والأسهم والرموز الرياضية الكاذبة مثل الرقى والتعاويذ عند الدجالين الذين يحتالون على العوام وهم أيضًا دجالون يحتالون على عامة المثقفين، وإنهم زبالة آخر الزمان، والأفاقين في نهاية التاريخ، التي حدثنا عنها الأفاق الكبير "فوكوياما".

والمعروف أن الذي وضع هذه الترهات هم بعض الفاشلين مثل شتراوس وسوسير وسائر المروجين لهذه البنيوية التهريجية.

أما "شتراوس" فكان أستاذًا فاشلاً للفلسفة وأما "سوسير" فكان مشتغلاً فاشلاً بعلم اللغة والدال والمدلول والدلالة ولكنهما انصرفا إلى لهو الحديث فخاضوا في النقد الأدبي لسهولة الخوض فيه لكل من هبَّ ودبَّ والتلاعب بالألفاظ على طريقة السوفسطائيين وكتبوا ما لا نفهمه وما لا يفهمونه هم وتبعهم في ذلك كبار وصغار النقاد في بلادنا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أما عن التناص أو تداخل النصوص والذي انبهر به بعض صغار أساتذة الجامعات في بلادنا والمرضى بداء تقليد الغرب والمنبهرين بكل ما يأتي منه والذين يجترون فتات المائدة الغربية ويفرحون بذلك لمجرد أنه موضة جديدة ويكلفون أبناءهم وكأنه شيء جديد مع أن العرب القدامى عرفوا كل هذا وكانوا يسمونه باسم السرقات الأدبية، وعرفوا التضمين

والاقتباس مثل الآمدي في كتابه “الموازنة” والقاضي الجرجاني في كتابه “الوساطة بين المتنبي وخصومه”، وذلك قبل أن يكتب في هذا الموضوع “جوليا كريستيفا” و”شولز” وغيرهما.

حتى جاء عالمٌ بالأدب العربي والأدب الغربي معًا وهو الدكتور إبراهيم عوض المتمكن من اللغة الإنجليزية والفرنسية وقد ترجم عنهما العديد من الكتب.. جاء ليكتب لنا بموضوعية بديعة عن مناهج النقد في الأدب العربي الحديث وقد جمع له أوثق المراجع وأدق المصادر وذلك بمنهج علمي تحرّى فيه الدقة، وبأسلوب لغوي عالي، لكنه يتميز بالبساطة والتشويق في العرض والجمال والرقة ويعكش ثقافته الموسوعية العربية والغربية.